Iğd Üni İfder / Igd Uni Jour Div Fac
Sayı / No: 16, Ekim / October 2020
Makale / Article: 63-84

مبادئ العاطفة الأسرية في القرآن الكريم

محمد جابر ثلجي [a]

المخلص: هدفت هذه الدراسة إلى بيان مبادئ العاطفة الأسرية التي يمكن أن تستنبط من آيات القرآن الكريم، وقد تم تناول هذه المبادئ من خلال أنواع العلاقات الأسرية، وهي: المبادئ المتعلقة بالعاطفة بين الزوجين، والمبادئ المتعلقة بعاطفة: الأمومة، والأبوة، والأخوة. وقد اتبعت الدراسة المنهجية الاستقرائية للتوصل إلى هذه المبادئ. وقد بينت أن العاطفة الأسرية في مختلف مستوياتها هي عاطفة فطرية، ينبغي أن تنضبط بضوابط العدالة والأخلاق. كما بينت الدراسة أن أي خلل عاطفي يحدث في أي مستوى من مستويات العلاقات الأسرية سينتج عنه آثار سلبية على كل فرد من أفراد الأسرة. وأن الدور الأكبر في مجال التربية عموماً والتربية العاطفية في الأسرة بشكل خاص، هو دور الأم يليه دور الأب، والمرأة التي تقوم بدور الأم هي بمنزلة الأم. وأنه يجب على من يتولى مسؤولية رعاية اليتيم أو كفالته أن يقوم مقام الأب من الجانبين العاطفي والمادي. وأن البيئة الأسرية التي لا تسودها أجواء التوازن العاطفي بين الإخوة ستسودها مشاعر الحسد التي تتسبب بمظاهر العدوان بينهم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التربية الإسلامية، العاطفة، الأسرة، العاطفة الأسرية.

[a] Yarmouk Üniversitesi İslam Bilimleri Fakültesi İslam Araştırmaları Bölümü
mohammed.t@yu.edu.jo

Principles of Family Emotion in the Holy Qur'an

MOHAMMAD JABER THALGI

Abstract: This article aims to demonstrate the principles of family Emotion that can be derived from the verses of the Holy Qur'an. These principles have been addressed through the types of family relations: the principles of emotion between spouses, motherhood, parenthood and brotherhood. The study followed the inductive methodology to reach these principles. It has shown that family emotion at various levels is an innate passion, should be regulated by the rules of justice and ethics. The study also showed that any emotional disorder that occurs at any level of family relations would have negative effects on each member of the family. The most important role in the field of emotional education in the family is the role of the mother comes after the role of the father. The woman who performs the functions of the mother is like the mother in terms of humanity and legitimacy in some cases. The caretaker of the orphan must take the father's place from the emotional and social sides and the family environment, which is not dominated by the atmosphere of emotional balance between brothers will be dominated by feelings of envy that cause the manifestations of aggression between them.

Keywords: Holy Qur'an, Islamic education, emotion, family, family emotion.

المقدمة

شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل عاطفتي[1] المحبة والرحمة مكونان أساسيان من مكونات العلاقات العلاقات الاجتماعية للأسرة، قال تعالى: :"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم/21). وقد دلت نصوص القرآن الكريم التي تناولت موضوعات الأسرة في جانبها الفقهي أو الأخلاقي أو القصصي، أن تنمية مشاعر المحبة والشفقة والرحمة في الأسرة، وعلاجها من مظاهر الكره والتحاسد، من مقاصد الشريعة. ولا شك أن حالات عدم التوازن العاطفي والخلل الوجداني في بيئة الأسرة، لابد أن تظهر آثارها في سلوك الأفراد. وتظهر الحاجة للتأكيد على دور التربية العاطفية في الأسرة، في الوقت الذي تطرح فيه قضايا العنف الأسري، وفي الوقت الذي ينشغل فيه أفراد الأسرة بمتطلبات الحياة التي أخذت بالتزايد، وأصبح من المظاهر المشاهدة يومياً بقاء أفراد الأسرة يقضون فترات طويلة من الزمن في التعامل والتواصل عبر وسائل التكنولوجيا المعاصرة، والذي سبب نوعاً من العزلة الاجتماعية في الواقع الاجتماعي، كما سبب تعرض الجيل لمؤثرات عاطفية من بأشكال متنوعة، نتج عنها خلل في التربية العاطفية للفرد أفضى إلى مشكلات سلوكية متنوعة.

ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى بيان مبادئ العاطفة الأسرية التي يمكن أن تستنبط من آيات القرآن الكريم. وقد تم تقسيم البحث إلى أقسام وعناوين فرعية، تبعاً لطبيعة العلاقات الأسرية، وهي: المبادئ المتعلقة بالعاطفة بين الزوجين، والمبادئ المتعلقة بعاطفة الأمومة، والمبادئ المتعلقة بعاطفة الأبوة، والمبادئ المتعلقة بعاطفة الأخوة.

---

[1] العاطفة: هي الشفقة، وهي استعداد نَفسِي ينْزع بِصَاحِبِهِ إِلَى الشُّعُور بانفعالات مُعينَة وَالْقِيَام بسلوك خَاص حِيَال فكرة أَو شَيْء. انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، *المعجم الوسيط*، القاهرة: مجمع اللغة العربية ودار الدعوة، ج.2، ص. 608. والعاطفة في اللغة من: "عطف" وأصل معناه الميل، ثم استخدم هذا المعنى للميل القلبي والشفقة، ورجل عطوف: كثير الفضل، مشفق. والعاطفة: هي مرضعة لغير ولدها، قال صاحب تاج العروس في هذا المعنى: "صَرَّحُوا بأَنّ العَطْفَ بمَعْنى الشَّفَقَة مَجازٌ من العَطْفِ بمعنَى الانْثِناءِ ثمَّ اسْتُعِيرَ للمَيْلِ والشَّفَقَةِ". انظر: محمد بن عبد الله الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (1273/672)، *إكمال الأعلام بتثليث الكلام*، تح. سعد الغامدي، 1984/1404، ج.2، ص. 435؛ محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (1311/711)، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، 1993/1414، ج.4، ص. 514؛ محمّد مرتضى الزَّبيدي (1790/1205)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، دار الهداية، ج. 24، ص. 166.

وقد اتبعت الدراسة المنهجية الاستقرائية للتوصل إلى المبادئ المتعلقة بالعاطفة الأسرية، من خلال استطلاع الآيات الكريمة التي تتناول هذا الموضوع، ودراسة الجوانب التربوية المتعلقة بها، من خلال الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، واستخلاص المبدأ العام المتعلق بالعاطفة الأسرية.

الدراسات السابقة

تم استطلاع الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، ويمكن القول بأن الدراسات التي أمكن الوصول إليها والتي كان لها ارتباط مباشر بموضوع الدراسة هي الدراسات الآتية:

1. دراسة مال الله الجابر، بعنوان: "المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة"، وقد عرضت الباحث مجموعة من التحليلات التربوية المتعلقة بالعاطفة في الأهل والعشيرة، في القرآن الكريم. لكن الدراسات لم تتناول بشكل شامل تحليلات تفسيرية لجوانب العاطفة في العلاقات الأسرية في القرآن الكريم.[2]

2. دراسة إلهامي غوناي (İhami Günay)، بعنوان:"تنمية العاطفة وتربيتها للنشئ في القرآن الكريم" (Kur'ân-ı Kerîm'de Gençlerin Duygu Gelişimi ve Eğitimi)، وقد ركزت هذه الدراسة على مواضيع الشعور الديني المتعلقة بقضايا الإيمان والعبادة، وقد تناولت الدراسة قضايا جزئية متعلقة بالعاطفة في الأسرة.[3]

3. دراسة منصور طيفوروف (Mansur Teyfurov)، بعنوان:"بناء الأسرة في القرآن الكريم" (Kur'an-ı Kerim'de Aile Yapısı) وقد تناولت هذه الدراسات طبيعة العلاقات الأسرية في الأسرة من منظور قرآني، وتناولت بشكل جزئي محدود، موضوعات العاطفة في هذه العلاقات.[4]

2. دراسة علي الجوارنة، بعنوان: "*منهج التربية الوجدانية من منظور إسلامي: دراسة مقارنة*"، وقد تناولت هذه الدراسات جوانب التربية الوجدانية من الناحية العقدية والتعبدية والأخلاقية، وتطبيقاتها في مؤسسات التربية

---

[2] مال الله عبد الله الجابر، *المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قطر، 2016.

[3] İhami Günay, "Kur'ân-ı Kerîm'de Gençlerin Duygu Gelişimi ve Eğitimi", *Turkish Studies*, 10/2 Winter 2015, p. 435-460.

[4] Mansur Teyfurov, "Kur'an-ı Kerim'de Aile Yapısı", *Iğdır University Journal of Divinity Faculty*, 3 & 4 April-October, 2014, p. 241-258.

المختلفة، ولا يوجد هناك تداخل في التحليلات التي عرضتها الدراسة الحالية وهذه الدراسة.[5]

3. دراسة عبدالله السهلي، بعنوان: "معالم التربية الوجدانية في سورة الإنسان"، وقد قام الباحث بدراسة بعض معاني التربية الوجدانية من خلال سورة الإنسان.[6]

4. دراسة علاء الدين أبو مصطفى، بعنوان: "*معالم التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة النبوية*"، وقد تناولت هذه الدراسة موضوعات التربية الوجدانية العاطقية بشكل عام ولم تبحث بشكل تفصيلي موضوعات العاطفة في العلاقات الأسرية.[7]

5. دراسة محمود الحياري، بعنوان: "التربية الوجدانية للطفل رؤية إسلامية"، وقد تناولت هذه الدراسة مجموعة من الأسس الإيمانية والأحكام الشرعية التي تتعلق، بالتربية الوجدانية للطفل بشكل خاص، ولم تتعلق لجوانب العاطفة في العلاقات الأسرية.[8]

1. المبادئ المتعلقة بالعاطفة بين الزوجين

يتناول هذا القسم مبادئ العاطفة بين الزوجين، وقد ابتدئ بهذا القسم، لأنه الزواج هو مبتدأ العلاقات الأسرية، وتنتج عنه باقي العلاقات في الأسرة. ويتناول هذا القسم المواضيع التالية: المودة هي أساس العلاقة بين الزوجين، والرحمة متطلب عاطفي أساسي بين الزوجين، وتقلب العاطفة يجب أن لا يخل بمبدأ العدالة والاحترام المتبادل.

1.1. المودة هي أساس العلاقة بين الزوجين

عاطفة المحبة والمودة بين الزوجين هي أساس في العلاقة الزوجية، وينعكس أثرها على باقي العلاقات الأسرية، ومن هنا أكد القرآن الكريم على أن

---

[5] علي الجوارنة، *منهج التربية الوجدانية من منظور إسلامي: دراسة مقارنة*، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك، 2014.

[6] عبدالله السهلي، "معالم التربية الوجدانية في سورة الإنسان"، *مجلة التربية جامعة الأزهر*، عدد. 147، 2012، 149-173.

[7] علاء الدين أبو مصطفى، *معالم التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة النبوية*، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، 2009.

[8] محمود الحياري، "التربية الوجدانية للطفل: رؤية إسلامية"، *المجلة الأردنية في العلوم التربوية*، مجلد.5، عدد. 4، 2009، 357-369.

المحبة بين الزوجين هي هبة من الله تعالى، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه العاطفة بعد ذكره لآية الخَلق، وهذا دليل على أهميتها، قال تعالى:"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم/21). فبعد أن كان الزوجان غريبان عن بعضهما البعض وإذ بهما بعد الزواج، متوادان متحابان بفضل الله تعالى،[9] وقد بين القرآن الكريم أن المودة التي وهبها الله سبحانه وتعالى للزوجين هي آية من الآيات، التي يدرك حكمتها العقلاء والحكماء، وقد ذكر فخر الدين الرازي (1209/606) في معرض حديثه عن حكمة وجود عاطفة المحبة بين الزوجين مع بعضهما وبين الزوجين والأبناء بقوله:"وَاعْلَمْ أَنَّ الله تَعَالَى فِي إِيجَادِ حُبِّ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ حِكْمَةً بَالِغَةً، فَإِنَّهُ لَوْلَا هَذَا الْحُبُّ لَمَا حَصَلَ التَّوَالُدُ وَالتَّنَاسُلُ وَلَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْقِطَاعِ النَّسْلِ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ كَأَنَّهَا حَالَةٌ غَرِيزِيَّةٌ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهَا حَاصِلَةٌ لِجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ".[10]

وتظهر قوة العلاقة الزوجية من خلال قوة رابطة المودة، ومن هنا فقد حرم الإسلام أعمال السحر والكيد التي تفسد هذه العلاقة، وأما اللجوء إلى طرق السحر والكيد لإفسادها فهو دليل على قوتها، ذكر ابن كثير (1372/774) في تفسيره هذا المعنى بقوله: "فَلَا أُلْفَةَ بَيْنَ زَوْجين أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ السَّاحِرَ رُبَّمَا تَوَصَّلَ بِكَيْدِهِ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ".[11]

كما بينت الآية الكريمة التي مرت سابقاً في قوله تعالى:"وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً" (الروم/21) جانباً مرافقاً ومتلازماً مع المحبة ألا وهو الرحمة، وقد أكدت الآية على أهمية عاطفة الرحمة بين الزوجين، وذكر بعض المفسرين أن المودة تكون بين الزوجين والرحمة تكون للأبناء.[12] والحقيقة أنه لا تعارض أن تكون الرحمة هنا تشمل الزوجين والأبناء.[13]

---

[9] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (1344/745)، *البحر المحيط في التفسير*، تح. صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1999/1420، ج.8، ص. 382.

[10] أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي، (1209/606)، *مفاتيح الغيب*، ط. 2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999/1420، ج.7، ص. 162.

[11] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (1372/774)، *تفسير القرآن العظيم*، تح، محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999/1419، ج.3، ص. 325.

[12] يحيى بن سلام (200هـ)، *تفسير يحيى بن سلام*، تح. هند شبلي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004/1425، ج.2، ص. 651.

[13] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (923/310)، *جامع البيان في تأويل القرآن*،

2.1. تقلب العاطفة يجب أن لا يخل بمبدأ العدالة والاحترام المتبادل

تقوم العلاقة بين الزوجين في الإسلام على مبدأ التوازن والتكامل، فالمحبة التي أرادها الله تعالى بين الزوجين، لا شك أنها محبة نقية تقوم على أهداف إيمانية، وتحقق صالح الأسرة من مختلف الجوانب. وربما يعترض الحياة الزوجية فترات من البرود العاطفي، وقد تصل في مراحل متطورة إلى الكره، قال تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" (النساء، 19)، وهنا يبين القرآن الكريم أن الزوج الذي وصل إلى مرحلة كره زوجته، قد يكون مخطئا في شعوره، ولربما أن هذه الزوجة التي يكرهها قد تكون مصدر سعادة له، ويجعل الله فيها خيراً كثيراً. ذكر مقاتل (767/150) في تفسير هذه الآية:"عسى الرَّجُل يكره المرأة فيمسكها عَلَى كراهية فلعل اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- يرزقه منها ولدا ويعطفه عَلَيْهَا، وعسى أن يكرهها فيطلقها فيتزوجها غيره فيجعل اللَّه للذي يتزوجها فيها خيرا كثيرا، فيرزقه منها لطفا وولدا".[14] وقد أورد الطبري (923/310) تفسيراً لمعنى الخير الذي ورد في الآية، عن ابن عباس –رضي الله عنه- بقوله: "الْخَيْرُ الْكَثِيرُ أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهَا فَيُرْزَقَ الرَّجُلُ وَلَدَهَا، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِي وَلَدِهَا خَيْرًا كَثِيرًا".[15]

وفي إطار الأسرة متعددة الزوجات بيّن القرآن الكريم أن تفاوت نسبة المحبة بين الرجل المعدد وزوجاته، أمر طبيعي، ومع تفاوت درجة المحبة بين الزوجات كان من الصعب على الرجل أن يحقق العدالة المطلقة، ومع ذلك طلب من هذا الرجل أن يطبق ما استطاع من متطلبات العدالة في هذا الأمر،[16] قال تعالى: "وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً" (النساء/129).

وتبين موقف الإسلام جليا من الأشخاص الذين ينهون ارتباطهم بزوجاتهم مع بقاء عقد الزوجية، قال تعالى:"...الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ.." (المجادلة/1-4)، وبذلك فقد حرم الإسلام الإيلاء والظهار،

تح،أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000/1420. ج. 20. ص. 86.

[14] مقاتل ابن سليمان أبو الحسن البلخى (767/150)، *تفسير مقاتل*، تح، عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، 2002/1423، ج.1، ص. 365.

[15] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج. 6. ص. 538.

[16] مقاتل، تفسير مقاتل، ج. 1. ص. 329؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج. 9. ص.284.

من عادات الجاهلية، التي من خلالها يترك الزوج زوجته ويتركها وحيدة، كما رتب الكفارة المغلظة على الذين يقومون بذلك: عتق رقبة فمن لم يجد صيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.[17] وجاء هذا التحريم لحكمة عظيمة، منها الأثر النفسي الذي يمكن أن يتركه هذا السلوك على الزوجة وأفراد الأسرة، وقد تجلى ذلك في قول المرأة التي ظاهر منها زوجها وهي خولة بنت ثعلبه –رضي الله عنها–:"اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري" كما روي أنها كانت تقول: "اللهم إن لي منه صبية صغارا إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا".[18]

وفي أجواء الخصام بين الزوجين تتحول مشاعر المحبة إلى كرة والمودة إلى المعاداة، ويمكن أن يتطور ذلك إلى محاولة كل طرف الإضرار بالآخر عن طريق الامتناع عن القيام بواجبه تجاه الأبناء، وخصوصاً الصغار منهم، ومن هم في مرحلة الرضاع، وعلي سبيل المثال تمتنع الأم عن الرضاع ويمتنع الأب عن النفقة،[19] قال تعالى: "لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَ" (البقرة/233). وقد أشار الشعراوي (1997/1418) في تفسيره لقوله تعالى:"عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ" إلى حكم تربوية في القضايا العاطفية للأسرة، تتعلق بالأثر العاطفي لسلوك الوالدين على الأبناء في أجواء الخلاف، فذكر أن في الآية: "دليل على أن هناك قضية مشتركة مازالت بين الطرفين وهي ما يتصل برعاية الأولاد، وهذه القضية المشتركة لابد أن يلاحظ فيها حق الأولاد في عاطفة الأمومة، وحقهم في عاطفة الأبوة".[20] كما ذكر الصابوني، فائدة في التربية العاطفية في هذه الآية فبين أن: "التعبير بلفظ "الوالدات" دون قوله "والمطلقات" أو النساء المطلقات لاستعطافهن نحو الأولاد، فحصول الطلاق لهنَّ لا ينبغي أن يحرمهنَّ عاطفة الأمومة".[21]

---

[17] أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي، الكلبي الغرناطي (1340/741)، *التسهيل لعلوم التنزيل*، بيروت، دار الأرقم بن الأرقم، 1995/1416، ج. 2، ص. 351.

[18] ابن جزي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، ج. 2، ص. 351.

[19] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (1108/502) *تفسير الراغب الأصفهاني*، تح. محمد بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، 1999/1420، ج.1، ص. 483.

[20] الشعراوي، محمد متولي (1997/1418)، *تفسير الشعراوي*، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، 1991، ج. 2، ص. 1007.

[21] محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير*، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997/1417، ج.1، ص. 137.

2. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأمومة

سيعرض هذا القسم تحليلاً للمبادئ المتعلقة بعاطفة الأمومة من الجوانب التالية: الأمومة عاطفة فطرية، ودور الأم له الأولوية في الإشباع العاطفي، والمرأة التي تقوم بدور الأم هي بمنزلة الأم.

2. 1. الأمومة عاطفة فطرية

تظهر الآيات التي ذكرت قصة أم سيدتنا مريم العذراء –عليها السلام– جانباً من عاطفة الأمومة، قال تعالى:"....فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ..." (آل عمران/ 35-36) فقد ورد في كتب التفسير روايات متشابهة عن قصة حمل حنة[22] أم مريم، وهذه الروايات تتماشى مع مضمون الآية الكريمة السابقة، وتعرض كيف أن عاطفة الأمومة قد تحركت في قلبها وتأثرت عاطفتها عندما رأت الطير يعتني بفراخه، فقد روى ابن عساكر عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما–: "أنَّ حنّة امرأة عمران حبست عن الولد والمحيض فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يزق فرخا له، فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى أن يهب لها ذكراً".[23]

وقد ظهرت عاطفة أم موسى –عليه السلام– في القرآن الكريم عندما رأت ابنها، وقد ابتعد عنها فترة من الزمن، عند آال فرعون، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ربط على قلبها وثبتها، لجعلتها هذه العاطفة تبدي أمر موسى عليه السلام أنه ابنها، قال تعالى:"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (القصص/10)، وقد ذكر ابن عاشور معنى تربويا يمكن أن يستفاد من موقف أم موسى –عليه السلام– في الآية الكريمة وهو أنه دليل على"حُسْنِ ثِقَتِهَا بِاللَّهِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى ضَعْفِ الْأُمُومَةِ بِالتَّشَوُّقِ إِلَى وَلَدِهَا وَإِنْ كَانَتْ عَالِمَةً بِأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ فِي أَحْوَالٍ صَالِحَةٍ بِهِ وَبِهَا"[24]،

---

[22] أخرج الحاكم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "حنّه ولدت مريم أم عيسى". *المستدرك على الصحيحين*، ج.2، ص.651، رقم 4164.

[23] شهاب الدين السيد محمود الألوسي (1270)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تح. محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999، ج. 3، ص. 177؛ علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (1325/725)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح. عبدالسلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، ج.1، ص.239-240.

[24] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. 20، ص. 81.

ومن هنا يمكن أن تستنبط العبرة من الآية الكريمة، في تحذير الأم من أن تضعف أمام عاطفة الأمومة فتتخذ قرارات غير مدروسة أو غير منطقية تتعلق بأبنائها.

وقد تناول القرآن الكريم، موضوع عاطفة المرأة تجاه الطفل الذي لم تلده، ويمكن أن تكون هذه العاطفة نابعة من عاطفة الأمومة كذلك، وهذا ما حصل لآسيا امرأة فرعون عندما وجد آل فرعون موسى عليه السلام وهو لم يزل وليداً، قال تعالى:"وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي" (طه/ 39)، قال الطبري في تفسير هذه الآية: "فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذّته وربَّته، وإلى فرعون، حتى كفّ عنه عاديته وشرّه".[25]

2.2. دور الأم له الأولوية في الإشباع العاطفي

يظهر من خلال استقراء النصوص الشرعية أن أقوى حالات العاطفة هي العاطفة بين الأم وولدها سواء كان ذكراً أم أنثى، كما أن الدور الأكبر في مجال التربية عموماً والتربية العاطفية في الأسرة بشكل خاص، هو دور الأم يليه دور الأب، ومن هنا بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أولوية الأم في الإحسان إليها تقديراً لهذا الدور.[26] وقد أكدت الآيات الكريمة هذه الأولوية في أكثر من آية، قال تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ..." (لقمان/14-15). فتصور آيات القرآن الكريم الجهد الشاق الذي تبذله الأم في القيام بواجبات الأمومة، في الحمل والإرضاع:[27] وفي تصريح الآية الكريمة لجهد الأم دون جهد الأب دلالة على أنه أكبر وأجهد، أما التوصية بالإحسان والشكر، فقد شملت الأب كذلك، للإشارة إلى دوره الهام: "أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ" (لقمان/15).

وتعرض الآية الثانية من سورة الحج مشهداً من مشاهد أهوال يوم القيامة، وتظهر الآية الكريمة أن أقوى علاقات العاطفة بين البشر بين الأم وطفلها، وبشكل خاص بين الأم ورضيعها، تضعف من هول الحدث وعظمته،[28] قال تعالى:"يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ" (الحج/2).

---

[25] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج.176، ص. 58.

[26] البخاري، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، 5971.

[27] الثعلبي، ج. 7، ص. 313؛ سعيد حوّى (1409)، *الأساس في التفسير*، القاهرة: دار السلام، 1424/، ج.9، ص. 2559.

[28] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج.17، ص. 189.

وفي قوله تعالى: "....قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي..." (طه/150)، تبينُ صيغة اعتذار هارون –عليه السلام- من موسى –عليه السلام- بعد أن غضب موسى –عليه الاسلام- منه بقوله: "قَالَ ابْنَ أُمَّ" من أنهما من أب واحد، لأن الاستعطاف بالأم أقوى من الاستعطاف بالأب.[29]

2. 3. المرأة التي تقوم بدور الأم هي بمنزلة الأم

قدر الإسلام دور المرأة التي تساهم في تربية الطفل، والتي تقوم بأدوار مشابهة لأدوار أمه الحقيقية، فعلى سبيل المثال، بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن:"الخالة بمنزلة الأم"،[30]كما اعتبر الإسلام المرأة التي ترضع الطفل أما له من الناحية الشرعية بسبب إرضاعها له، وجميع أفراد أسرة هذه الأم يصبحون من الناجية الشرعية بمنزلة أسرته، فتصبح مرضعته وبناتها من محارمه، قال تعالى"وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ" (النساء/23)، وتكمن الحكمة في التحريم من الرضاع في أن الرضاعة تعبر عن عاطفة الأمومة، وأن المرضع تساهم في تكوين خلايا الرضيع، فيدخل جزء من مكوناتها في مكونات هذا الرضيع.[31] كما عدّ الإسلام المحرمات للرجل بعد أمه وقريباته، أمه من الرضاعة وبناتها، وما يحرم عليه من النسب يحرم من الرضاعة، وكذلك يحرم عليه أم وزجته لأنها تصبح بمنزلة أمه، قال تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ". (النساء/23)

أما أمومة زوجات النبي –صلى الله عليه وسلم- فقد شرعها الله تعالى بنص الكتاب:"النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" (الأحزاب/6). وقد جاءت أمومتهن- رضي الله عنهن- تأكيداً للعلاقة المتينة التي تربط كل مسلم بالنبي –صلى الله عليه وسلم-، وقد ترتب على هذه الأمومة حكم شرعي، بتحريم الزواج بهت بعد النبي –صلى الله عليه وسلم-[32] قال تعالى: "وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً" (الْأَحْزَاب/ 53). ورد

---

[29] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج. 13، ص. 131؛ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (1373/775)، *اللباب في علوم الكتاب*، تح. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998/1419، ج. 4. ص. 175.

[30] البخاري، عمرة القضاء، 4251.

[31] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، ج. 4، ص. 2096.

[32] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج. 21، ص. 269.

عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها-: "لستُ بأم نسائِكم، وإنما أنا أم رجالكم".[33] ومن هنا يتضح أن أمومة أمهات المؤمنين هي أمومة تقدير، اقتضت تحريمهن على المسلمين، كحرمة أمهاتهن.[34]

3. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأبوة

سيتم عرض المبادئ المتعلقة بعاطفة الأبوة، من خلال العناوين التالية: الأبوة عاطفة فطرية، وحدود عاطفة الأبوة، والقسوة وغياب عاطفة الأبوة.

3. 1. الأبوة عاطفة فطرية

مر سابقاً، نماذج من آيات القرآن الكريم تظهر أن الأمومة حاجة فطرية، أما الأبوة، فتظهر آيات القرآن الكريم في قصة إبراهيم وزكريا-عليهما السلام- نموذجاً من نماذج الأبوّة التي حرمت من الأبناء فترة طويلة من الزمن، ثم أنعم الله –سبحانه وتعالى- عليهما بنعمة الولد، فظهر من خلالها أن الأبوة حاجة فطرية، كما يظهر في هذين النموذجين دور الدعاء في تحقيق هذا الطلب.[35] أما إبراهيم –عليه السلام- بقوله:"رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات/100) أما زكريا -عليه السلام-، فيظهر طلبه هذا في قوله تعالى:"رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً" (آل عمران/38)، وفي قوله تعالى: "فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا" (مريم/5).

ولربما كان ميل الأبوين إلى الرغبة في إنجاب الذكر أكثر من ميلهم من إنجاب الأنثى، ويمكن أن يستنبط هذا من قوله تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ" (آل عمرآن/14)، يقول الرازي في تفسير هذه الآية: "وَلَمَّا كَانَ حُبُّ الْوَلَدِ الذَّكَرِ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ الْأُنْثَى، لَا جَرَمَ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالذِّكْرِ، وَوَجْهُ التَّمَتُّعِ بِهِمْ ظَاهِرٌ مِنْ حَيْثُ السُّرُورُ وَالتَّكَثُّرُ بِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ".[36] وهذا يمكن أن يستنبط كذلك من رغبة امرأة عمرآن في أن يكون مولودها ذكراً،

---

[33] البيهقي، السنن الكبري، 70/7.

[34] مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (1521/927)، *فتح الرحمن في تفسير القرآن*، تح. نور الدين طالب، دار النوادر، 2009/1430، ج.5، ص.342.

[35] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:1075/468)، *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، تح.عادل عبد الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415/ 1994)، 1: 430-433؛ أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (1312/710)، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تح. يوسف بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، 1998/1419)، ج.1، ص. 252.

[36] فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج.7، ص. 162.

ودعت الله تعالى أن يحقق لها ذلك[37] " قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى" (آل عمران، 36).

وإذا كانت والأمومة والأبوة تتضمنا العاطفة والرحمة بالأبناء، خصوصاً عند صغرهم وضعفهم، فقد طلب الله عز وجل من أن تتم مقابلة هذا الإحسان بالإحسان، خصوصاً في في حالة ضعف الوالدين في كبرهم، "وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً" (الإسراء/23-24).

وقد نبه القرآن الكريم على وجوب تعويض عاطفة الأبوة لليتيم،[38] ومن خلال استقراء نصوص آيات القرآن الكريم، يظهر أنه يجب على من يتولى مسؤولية رعاية اليتيم أو كفالته أن يقوم مقام الأب من الجانبين العاطفي والمادي. وتم تلخيص ذلك بعبارة أوردها سفيان الثوري (777/161) في تفسيره، وهي:"احْكُمِ الْيَتِيمَ كَمَا تَحْكُمُ بِهِ بِوَلَدِكَ، يَعْنِي أَنْ تُؤَدِّبَهُ وَتَضْرِبَهُ كما تفعل بولدك".[39] وأما في الجانب المادي فقد أمر من يرعون مال اليتيم أن يقربوا ماله إلا لهدف يصب في صالحه،[40] "وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء/ 34). وأما الجانب العاطفي فقد تبين في قوله تعالى: "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ" (الضحى/9)، فقد ورد عن قتادة (736/118) في تفسير هذه الآية قلوله:"كُنْ لِلْيَتِيمِ كَأَبٍ رَحِيمٍ"[41]، وقد لخصت هذه الآية واجب المجتمع تجاه اليتيم بأن يتوفر له من يقوم مقام أبيه وأمه في العطف والحنان والرعاية.

3. 2. حدود عاطفة الأبوة

ذكرت آيات القرآن الكريم نماذج متعددة لعطف الآباء على أبنائهم في حالات ابتلاء متنوعة، وقد ظهر هذا جليا، عند نوح وإبراهيم ويعقوب -عليهم

---

[37] الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ج. 3، ص. 177؛ علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، ج.1، ص.239-240.

[38] اليتيم في المفهوم الشرعي من فقد أباه في صغره، أما من فقد أمه في صغره فهو منقطع. انظر: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ (1806/1221)، *تحفة الحبيب على شرح الخطيب*، دار الفكر، 1995/1415، ج.4، ص. 270.

[39] أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (777/161)، *تفسير الثوري*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983/1403، ج.1، ص. 90.

[40] مقاتل، *تفسير مقاتل*، ج.5، ص. 176.

[41] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد التميمي (ت: 938/327). *تفسير القرآن العظيم*. تح. أسعد الطيب، ط: 2. مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1998/1419، ج. 10، ص. 3444.

السلام-، فقد أظهرت الآيات التي روت قصص الأنبياء الثلاثة عليهم السلام مع أبنائهم عاطفة قوية، وحرصاً شديداً على تحقيق مصلحة الابن. وفي نفس الوقت بينت الآيات الكريمة أن هذه العاطفة يجب أن لا تقف أمام تحقيق العدالة وأوامر الله –عز وجل-. فقد ظهرت عاطفة الأبوة عند نوح –عليه- السلام عندما ابتلي بعقوق ابنه وسلوكه غير السوي، وقد حاول هدايته وإنقاذه من الغرق، لكنه عاند وتولى، وقد حملت الشفقة نوحاً- عليه السلام-، أن يتوجه إلى الله -سبحانه وتعالى-إلى طلب المغفرة له: "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" (هود: 45)، وقد أكد هذا المعنى إسماعيل حقي (1715/1127) في تفسيره للأية بقوله:" وأما قوله إِنَّ "ابْنِي مِنْ أَهْلِي" فلمواقفة قوله تعالى وَأَهْلَكَ كما لا يخفى فان قيل إنه عليه السلام لما قال: "رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً "، كيف ناداه مع كفره؟!، أجيب: بأن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء".[42] ومن هنا ظهر أن هذه العاطفة لم يكن لها أي تأثير أمام عدالة حكم الله عزل وجل، فقد بين الله تعالى لنوح -عليه السلام- مصير ابنه الذي ابتعد عن الطريق المستقيم،[43] بقوله: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود/46).

وأما جانب عاطفة الأبوة في قصة إبراهيم -عليه السلام-، فيظهر الجانب العاطفي الأبوي ابتداء في اسمه، حيث ورد أن معنى "إبراهيم" الأب الراحم.[44] ويلاحظ من قصة إبراهيم –عليه السلام- أنه قد ابتلي ابتلاءان عظيمان، الأول عندما ابتلي بأبيه عند رفضه للإيمان وبقائه على الشرك،[45]، والثاني: عندما ابتلي بذبح ابنه رغم محبته الشديدة له، وحيث إنه رزق به بعد فترة من الحرمان من الولد. واستخدم إبراهيم -عليه السلام- العاطفة الأبوية في دعوته لأبيه،[46] كي

---

[42] إسماعيل حقي (1715/1127)، *روح البيان*، بيروت، دار الفكر، 2010، ج.4، ص. 134.

[43] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (1470/875)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تح. محمد معوض - عادل عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997/1418، ج.3، ص.268.

[44] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (1371/773)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تح. محمد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، 1959/1379، ج.6، ص.369.

[45] اختلف المفسرون في طبيعة أبوّة آزر لإبراهيم، فمنهم من فسرها على أنها أبوّة حقيقية، ومنهم من فسرها على أنها أبوّة بالمعنى المجازي، فيكون أبوه من جهة التربية له أو من جهة العمومة. انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج.11، ص. 465.

[46] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، ج.5، ص.9099.

يترك الشرك ويتبع العقيدة السليمة، "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" (مريم/ 42). وبالرغم من إساءة أبيه إليه، قابل كلمات أبيه القاسية بعبارات لطيفة حسنة، رعاية لحق الأب، وانسجاماً مع أسلوب الدعوة، كما أنه لم ييأس من دعوته ووعده بأن يستغفر له الله تعالى، "قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" (مريم/ 43) لكن إبراهيم –عليه السلام- بعد علمه بعدم جواز استغفاره لأبيه وبعد أن تبين له إصرار أبيه على الشرك تبرأ منه، "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (التوبة/114).

وقد تجلت العاطفة الأبوية الشديدة في قصة يوسف مع أبيه –عليهما السلام-، وقد ظهر أثر العاطفة الشديدة للابن، في نفسية يعقوب –عليه السلام- من خلال شدة حرصه عليه وتصريحه بحزنه وخوفه لابتعاد يوسف عنه،[47] "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ" (سورة يوسف/ 13)، وقد تسببت هذه العاطفة الأبوية القوية في ترك أثر من الحزن الشديد في نفس يعقوب -عليه السلام- وقد تسببت هذه الآلام النفسية نتيجة فقدانه ليوسف في إحداث أضرار ببدنه تمثلت بفقدانه لبصره، وانحناء ظهره، وبالرغم من مرور فترة طويلة من الزمن على ابتعاده عن يوسف، إلا أن حسرته عليه ظلت حيّة في قلبه.[48] أما العبر التربوية المستفادة من قصة يوسف عليه السلام، فتظهر في التأكيد على ضرورة التوازن العاطفي للأب، وحدود عاطفة الأبوة، ويمكن القول إن للأب دور مهم إبقاء التوازن العاطفي بين الأبناء حتى لا يتحاسدوا ويؤذوا بعضهم، من خلال كتمان بعض الميزات التي يمتاز بها بعض الإخوة،[49] وقد جاء ذلك في نصيحة يعقوب ليوسف: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف/ 6). ومن العبر المستفادة في المجال العاطفي كذلك أنه إذا ابتلي أحد الوالدين بمصيبة في ابنه، بسبب موته، أو فقدانه، أو مرضه، عليه أن يرفق بنفسه، وأن يحاول، أن لا يجعل آلام هذه

---

[47] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (1143/538)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط:2، بيروت: دار الكتاب العرب، 1986/1407، ج. 2، ص. 448.

[48] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (1117/510)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تح. محمد عبد الله النمر، (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997/1417)، ج. 2، ص. 508.

[49] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج.15، ص.558؛ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (1956/1376)، *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار*، تح. عبد الكريم الدريني، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 2002/1422، ج.1، ص. 150.

المصيبة تضر به، -نسأل الله تعالى المشافاة والمعافاة-.

3. 3. القسوة وغياب عاطفة الأبوة

تقرر أن عاطفة الأبوة أمر فطري، لكن هذه الفطرة لن تبقى على حالتها الطبيعية إذا ما تدخلت فيها عوامل الشر في البيئة الاجتماعية الفاسدة. وقد بين النبي –صلى الله عليه- وسلم أن الأب الذي لا يبدي وداً في تصرفه مع أبنائه، هو أب قد نزعت منه الرحمة.[50] وقد عرض القرآن الكريم، أكثر من نموذج للأبوة شديدة القسوة التي غيبت عاطفتها، ومنه الأب الكاره لقدوم الأنثى كمولود جديد في الأسرة، قال تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ.يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (النحل/ 58-59)، وبين أن الضجر الذي يحدثه خبر قدوم المولودة في نفسية هذا الأب، سببه فساد القيم الاجتماعية التي تعتبر وجود الأنثى في الأسرة نوعاً من أنواع النقص الاجتماعي، وقد أوصلت القيم الفاسدة الأب في هذا المثال أن ينهي حياة ابنته.[51]

أما المظهر الثاني من مظاهر الأبوة القاسية الذي ذكره القرآن الكريم، مظهر الأب الذي يقدم على قتل ابنه أو ابنته بدافع الخوف من الفقر،[52] وهذا مثال على درجة الجهل التي وصل إليها الأب الذي يقدم على هذا الأمر، قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ" (الأنعام/ 151) وفي موضع آخر، قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا" (الإسراء/ 131).

4. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأخوة

عرضت آيات القصص نموذجين من نماذج العلاقات بين الإخوة، الأول: نموذج الأخوة الإيجابي، الذي يتضمن عاطفة المحبة والتقدير التي ينتج عنها قيم التعاون والإيثار. أما النموذج الثاني فهو نموذج الأخوة السلبي، الذي يتضمن مشاعر الحسد والحقد التي ينتج عنها النزاع والعدوان بين الإخوة. وسيتم التمثيل على النموذج الأول بعاطفة الأخوة بين موسى وهارون –عليهما

---

[50] البخاري، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: 5998.

[51] *مقاتل، تفسير مقاتل*، ج.2، ص. 474؛ أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (1606/1014)، ، *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، بيروت، دار الفكر، 2002/1422، ج.1، ص.186.

[52] البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج. 33، ص. 285.

السلام-، والتمثيل على النموذج الثاني بأخوة قابيل لهابيل، وأخوّة إخوَة يوسف ليوسف –عليه السلام-.

4. 1. التقدير والتعاون والإيثار من ملامح الأخوة الإيجابية

تعرض آيات القصص نموذجاً إيجابيا من نماذج العلاقات بين الأخوة، وهو نموذج العلاقة بين موسى وهارون -عليهما السلام-، وقد تضمنت هذه العلاقة عاطفة المحبة والتقدير، التي انعكست في قيم التعاون والإيثار. فقد طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يجعل أخاه هارون مساعداً وشريكاً له في أمر النبوة، فاستجاب الله تعالى لطلبه، "وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي " (طه/29-36)، وقد أوردت كتب التفسير أن هارون –عليه السلام- كان يكبر موسى بأربع سنوات، وأنه كان أوسم وأفصح لساناً،[53] ويمكن أن تحمل هذه الميزات والاختلافات بين الأخوة، على حسد أحدهم الآخر، إذا ما دخل الشيطان بينهما، لكن موسى –عليه السلام- قد نظر بإيجابية إلى الميزات التي امتلكها أخوه، ونظر إليها نظرة تقدير المحب المخلص، وطلب من الله تعالى أن يهب أخاه النبوة، وأن لا يستأثر بها لوحده. بل إن موسى –عليه السلام- قد تجلت فيه قيم الصدق والشفافية، والإيثار لأخيه هارون –عليه السلام- عندما امتدحه وذكر فيه من الصفات التي يتميز بها عنه، ويظهر هذا في قوله تعالى: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ" (القصص/34).

4. 2. الإخلال بالتوازن العاطفي بين الإخوة يتسبب بمظاهر العدوان بينهم

يعرض القرآن الكريم أكثر من نموذج للمشاعر السلبية بين الإخوة، حيث تحولت في هذه العلاقة المحبة والتعاون إلى الحسد والعدوان،[54] وهو ما حصل عندما قتل قابيل أخاه هابيل، بسبب الحالة النفسية التي وصل إليها، ويظهر ذلك في قوله تعالى:"فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ" (المائدة/30). كما عرضت قصة يوسف -عليه السلام-، نموذج حسد مجموعة الإخوة لأخيهم، حيث تحول الحسد إلى عدوان،[55] أما دليل حسدهم قوله تعالى على لسان أب يوسف –عليهما السلام: "قالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى

---

[53] البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج.5، ص. 271.

[54] البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج.2، ص. 39.

[55] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج.13، ص. 13؛ البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج.2، ص. 477.

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف/5)، وقول إخوة يوسف: " لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (يوسف/8)، وما إن استغرقت فيهم مشاعر الحسد والحقد حتى تطورت إلى سلوك عدواني:" اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا"(يوسف/9). كما تُظهر القصة مشاعر الغيرة والحسد التي يمكن أن تظهر بين الإخوة لأب من أم مختلفة، عند شعورهم بتمييز الطرف الآخر، حيث قالوا: "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ" بالرغم من أنه أخوهم كذلك، على اعتبار أن يوسف وبنيامين من أم غير أمهم.[56]

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مبادئ العاطفة الأسرية التي يمكن أن تستنبط من آيات القرآن الكريم، وقد تم تقسيم البحث إلى أقسام وعناوين فرعية، تبعاً لطبيعة العلاقات الأسرية، وهي: المبادئ المتعلقة بالعاطفة بين الزوجين، والمبادئ المتعلقة بعاطفة الأمومة والأبوة، والأخوة. وقد اتبعت الدراسة المنهجية الاستقرائية للتوصل إلى المبادئ المتعلقة بالعاطفة الأسرية، من خلال استطلاع الآيات الكريمة والرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة. ويمكن عرض أهم مبادئ العاطفة الأسرية المستنبطة من آيات القرآن الكريم من خلال النقاط التالية:

1. المبادئ المتعلقة بالعاطفة بين الزوجين: بينت الدراسة أن عاطفة المحبة والمودة بين الزوجين هي أساس في العلاقة الزوجية، وينعكس أثرها على باقي العلاقات الأسرية، وتقلب العاطفة يجب أن لا يخل بمبدأ العدالة والاحترام المتبادل بين الزوجين، يجب أن يقاوم الزوجان ما يعترض للعاطفة الزوجية من كره، وضجر، فقد تكون الزوجة التي كرهها مصدر سعادة له، يجب عدم حرمان الزوجة من حقوقها بسبب التفاوت العاطفي في الأسرة المعددة، رفض الإسلام الهجر الكلي للزوجة من خلال إنهاء العلاقات الأسرية مع بقاء عقد الزوجية، ويجب أن يتم من خلال حالات الخلاف بين الزوجي والطلاق إلى محاولة الإضرار بالأولاد، فحتى مع إنهاء العلاقة الزوجية يبقى حقا الأمومة والأبوة محفوظان.

2. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأمومة: بينت أن الأمومة عاطفة فطرية،

[56] البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج.4، ص. 216.

وأقوى حالات العاطفة هي العاطفة بين الأم وولدها سواء كان ذكراً أم أنثى، كما أن الدور الأكبر في مجال التربية عموماً والتربية العاطفية في الأسرة بشكل خاص، هو دور الأم يليه دور الأب، والمرأة التي تقوم بدور الأم هي بمنزلة الأم.

3. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأبوة: بينت الدراسة أن عاطفة الأبوة هي كذلك عاطفة فطرية، ويجب على من يتولى مسؤولية رعاية اليتيم أو كفالته أن يقوم مقام الأب من الجانبين العاطفي والمادي. يجب أن لا تقف عاطفة الأبوة أمام تحقيق العدالة وأوامر الله تعالى، وإذا ابتلي أحد الوالدين بمصيبة في ابنه، بسبب موته، أو فقدانه، أو مرضه، عليه أن يرفق بنفسه، وأن يحاول، أن لا يجعل آلام هذه المصيبة تضر به. عاطفة الأبوة يمكن تختفي وتتحول إلى قسوة، إذا ما تدخلت فيها عوامل الشر في البيئة الاجتماعية الفاسدة أو نتيجة الجهل.

4. المبادئ المتعلقة بعاطفة الأخوّة: بينت الدراسة أن البيئة الأسرية التي تسودها أجزاء التوازن العاطفي، ستتحول فيها عاطفة المحبة والتقدير إلى سلوكيات من التعاون والإيثار. وبالمقابل فإن الإخلال بالتوازن العاطفي بين الإخوة يتسبب بمظاهر العدوان بينهم.

المراجع

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (1108/502)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تح، محمد بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، 1999/1420.

الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (1853/1270)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تح، محمد الأمد وعمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999.

البُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد بن عمر (1806/1221)، *تحفة الحبيب على شرح الخطيب*، دار الفكر، 1995/1415،

البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، بيروت، دار طوق النجاة، 2001/1422.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1117/510)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تح، محمد عبد الله النمر،دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997/1417.

البيهقي، أبو بكر أحمد، *شعب الإيمان*، تح، عبد العلي حامد، الرياض: مكتبة الرشد، 2003

الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (1470/875)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تح، محمد معوض - عادل عبد الموجود،بيروت:دار إحياء التراث العربي، 1997/1418،

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (1036/427)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح، أبو محمد بن عاشور،بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2002/1422،

الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق (777/161)، *تفسير الثوري*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983/1403،

الجابر، مال الله عبد الله، *المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قطر، 2016.

ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (1340/741)، *التسهيل لعلوم التنزيل*، بيروت، دار الأرقم بن الأرقم، 1995/1416.

الجوارنة، علي *منهج التربية الوجدانية من منظور إسلامي: دراسة مقارنة*، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك، 2014.

الجياني، محمد بن عبد الله الطائي أبو عبد الله، جمال الدين (1273/672)، *إكمال الأعلام بتثليث الكلام*، تح، سعد الغامدي، 1984/1404.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد التميمي (ت: 938/327). *تفسير القرآن العظيم*. تح. أسعد الطيب، ط: 2. مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1998/1419.

الحاكم، محمد، *المستدرك على الصحيحين*، بيروت:،دار الكتب العلمية، 1990،

حقي، إسماعيل (1715/1127)، *روح البيان*، مجلد،2، بيروت، دار الفكر، 2010،

حوّى، سعيد (1986/1409)، *الأساس في التفسير*، القاهرة: دار السلام، 2003/1424.

الحياري، محمود، "التربية الوجدانية للطفل: رؤية إسلامية"، *المجلة الأردنية في العلوم التربوية*، مجلد،5، عدد، 4، 2009، 357-369.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (1344/745)، *البحر المحيط في التفسير*، تح، صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1999/1420.

الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم (1325/725)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح، عبدالسلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تح،

محمد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، 1959/1379).

الزَّبيدي، محمّد مرتضى (1790/1205)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، دار الهداية، (ب.ت).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (1143/538)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط:2، بيروت: دار الكتاب العرب، 1986/1407.

آل سعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن (1956/1376)، *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار*، تح، عبد الكريم الدريني، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 2002/1422.

السهلي، عبدالله، "معالم التربية الوجدانية في سورة الإنسان"، *مجلة التربية جامعة الأزهر*، عدد، 147، 2012، 149-173.

سلام، يحيى (200/815ـ)، *تفسير يحيى بن سلام*، تح، هند شبلي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004/1425.

الشعراوي، محمد متولي (1997/1418)، *تفسير الشعراوي*، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، 1991.

الصابوني، محمد علي، *صفوة التفاسير*، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997/1417.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (923/310)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح،أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000/1420.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (1373/775)، *اللباب في علوم الكتاب*، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998/1419.

ابن عاشور، محمد الطاهر، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد (1209/606)، *مفاتيح الغيب*، ط، 2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999/1420.

القاري، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، بيروت: دار الفكر، 2002/1422،

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1372/774)، *تفسير القرآن العظيم*، تح، محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999/1419.

مجير الدين، ابن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (1521/927)، *فتح الرحمن في*

تفسير القرآن، تح، نور الدين طالب، دار النوادر، 2009/1430.

أبـو مصـطفى، عـلاء الـدين، *معـالم التربية الوجدانية فـي القـرآن الكـريم والسـنة النبوية*، رسـالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، 2009.

مصطفى، إبراهيم وآخرون، *المعجم الوسيط*، القاهرة، مجمع اللغة العربية ودار الدعوة،

ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم الأنصـاري الرويفعـى الإفريقـى (1311/711)، *لسـان العـرب*، بيروت، دار صادر، 1993/1414.

مقاتـل، ابـن سـليمان أبـو الحسـن البلخـى (767/150)، *تفسـير مقاتـل*، تـح، عبـد الله محمـود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، 2002/1423.

الواحـدي، أبـو الحسـن علـي بـن أحمـد النيسـابوري (1075/468)، *الوسـيط فـي تفسـير القـرآن المجيـد*، تح،عـادل عبـد الموجـود وآخـرون، بيـروت: دار الكتـب العلميـة، 1415/ 1994.

النسـفي، أبـو البركـات عبـد الله بـن أحمـد (1312/710)، *مـدارك التنزيـل وحقـائق التأويـل*، تح، يوسف بديوي،بيروت: دار الكلم الطيب، 1998/1419.

İhami Günay, Kur'ân-ı Kerîm'de Gençlerin Duygu Gelişimi ve Eğitimi, *Turkish Studies*, 10/2 Winter 2015, p. 435-460.

Mansur Teyfurov, "Kur'an-ı Kerim'de Aile Yapısı", *Iğdır University Journal of Divinity Faculty*, 3 & 4 April-October, 2014, p. 241-258.